زمن الشطارة
حين يصرف الذكاء وقوة الخيال في القنوات الخاطئة

تزدهر الشقاوة والشطارة والفهلوة، وتتشعب طرقات الغش والاحتيال والضحك على الذقون حين تجدب الحياة من حول البشر وتتعقد مسالكها ويغيب القانون والمنطق، ويغدو النظام العام مشروخاً ضعيفاً، وقابلاً للانتهاك، ومن ثم العطب.. تكتسب السوق (الاقتصادية وغيرها) قوانين مغايرة، وتدخل قاموسها كلمات ومصطلحات جديدة، يتداولها الناس بتهكم ومرح في بادئ الأمر لتتحول فيما بعد إلى علامات دالة أو مجازات تنبئ عن الخريطة السرية لأنماط مبتكرة من العلاقات ومفاصلها، ومن القيم وتجسداتها في السلوك الفردي والاجتماعي. وفي التسعينيات من القرن الماضي عرفنا مصطلحات لم نكن قد سمعنا بها من قبل مثل (النكرية والقفاصة) وإذا كان النكري - يلفظ الكاف بالجيم الأعجمية - هو الشخص الذي يمد يده بخفة ليسرق خلسة فإن القفاص ينصب أفخاخه هنا وهناك لاصطياد المغفلين.

سعد محمد رحيم

حكاية أولى؛

يعرض عليك بائع جوّال في سوق الباب الشرقي قمصلة جلدية ممتازة بسعر معقول يصير بخساً بعد قليل من المساومة.

((- بالعافية، شايف ألف خير!)).

يقول لك، ويضع القمصلة في كيس ويأخذ منك نقودك ويمضي مختفياً في زحام السوق.

تذهب إلى البيت مغتبطاً بما حصلت عليه.. تستدعي زوجتك لتريها الشيء الجيد الذي اشتريته بسعر اكثر من جيد.. تخرج القمصلة، وإذا بها خرقة ممزقة، وملفوفة بدراية ودربة.. تصاب بالدوار إذ أن هذا الشيء ليس هو ذاك الذي دفعت مالك من أجله، وعند ذاك يغلبك الحرج والحيرة، والشعور بالذل والمرارة لأنك جعلت أحدهم يستغفلك ويخدعك هكذا، وقد تغضب على زوجتك إذا ما ضبطتها تضحك على غفلتك وخيبتك.

أحد الأذكياء لبس القمصلة الجلدية الجيدة، ودفع النقود للبائع الجوال في السوق.

قال له البائع، هاتها لأضعها في الكيس.

قال المشتري، لا، دعها.. لا أريد خلعها.

قال البائع، إذن، لا أبيع!!.

من هو الشاطر؟!.

في لسان العرب (الشطر نصف الشيء، وشاطره ماله ناصفه)، وفي القاموس المحيط (الشاطر من أعيا أهله خبثاً)، وفي قاموس العين (ورجل شاطر وقد شطر شطوراً وشطاراً وهو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثاً)، أما في معجم مقاييس اللغة في (شطر فلان على أهله، إذا تركهم مراغماً مخالفاً، والشاطر الذي أعيا أهله خبثاً، وهذا هو القياس لأنه إذا فعل ذلك بعد عن جماعتهم ومعظم أمرهم).

تتصل مفردة الشطارة إذن بمفردة الخبث، فهي قائمة على استغفال الآخرين، وإيقاعهم في ورطة، أو الاستحواذ عن طريق الحيلة على ما لا يرغبون بالاستغناء عنه. وإذا كانت شريحة الشطار في عهود الفتن والاختلالات تشكل قوة اجتماعية ضاغطة تأخذ بالاتساع فإنها تنحسر في عهود الاستقرار والرخاء، أو تتخذ لها لبوساً مختلفاً.

تحتاج الشطارة إلى الذكاء المتشح بالخبث وسرعة البديهة.. وثمة كثر من الحكايات التي يعرفها كل منا عن قفشات الشطار التي تجعلنا، من دون إرادتنا، ننده‍ش بها ونضحك عليها، وقد نعجب بفاعليها بدلاً من استهجاننا لما فعلوا.

في زمن الحصار العراقي، في النصف الأول من التسعينيات، وعلى طريق زراعي يلمح رجل يقود سيارة صالون ديكاً تائهاً.. يتلفت، ولا يرى بيتاً قريباً أو قرية في الجوار.. يوقف سيارته ويهبط منها ليلاحق الديك الذي كانت له قيمته في ذلك الزمن.. في هذه اللحظة يخرج من بين أجمة النباتات رجل يصعد السيارة التي لا يزال محركها يدور ويضغط على دواسة البنزين منطلقاً بسرعة عاتية تاركاً صاحب السيارة مع الديك/ الطُعم ذاهلاً وسط الغبار.

هذه حكاية من الممكن أن تتبعها حكايات من الزمن ذاته.. ولنسرد واحدة أخرى:

رجل، في طريق ريفي يوقف سيارة بيك آب لتقله إلى المدينة.. تتوقف السيارة ويعتذر السائق لأن شخصين يحتلان المقعد إلى جانبه، وفي الحوض بقرة.

يقول الرجل، لا بأس سأصعد إلى الحوض مع البقرة.

الطريق طويلة إلى المدينة، ويصادف عليها رجل ثان يلوّح بيده لسائق البيك آب الذي تمنعه طيبته الريفية من تجاوز التلويحة. وأكيد أن عابر السبيل هذا سيوافق على الصعود إلى الحوض والجلوس مع الرجل الذي سبقه إلى هناك.

يشرع الرجلان بالدردشة.. يفهم الرجل الأول أن الثاني يقصد (الجوبة)، وهي المكان الذي تباع فيه المواشي وتشترى، وتقع في الجانب الآخر من المدينة.

- ولماذا لا أبيعك بقرتي هذه؟.

- أهي لك؟.

- نعم، هي لي.

وبعد بعض السجال يتفقان على الثمن.. يأخذ الرجل الأول النقود ويقول للثاني، سأنزل الآن، لأوقف أية سيارة عائدة إذ لا شغل آخر لي.

أما هذه السيارة فذاهبة إلى المدينة لقضاء حاجة سريعة وستعود بك إلى قريتك.. سأفهم السائق بالأمر.

يصيح الرجل الأول طالباً من السائق أن يتوقف.. ينزل ويدس رأسه داخل القمرة ويهمس للسائق، بارك الله فيك.. لا نقود لدي لأدفع لك.

يقول السائق، اذهب يا رجل.. من طالبك بأجرة؟.

- الله يخليك.

وبعد أن يطنب قليلاً لاهجاً بالدعاء للجالسين يلبث على قارعة الطريق مع نقود الرجل الثاني الذي يعتقد أن البقرة صارت ملكه.

وتمضي البيك آب في طريقها، وحين ستصل، باستطاعتنا أن نتخيل المشكلة التي ستثار بين مالكي البقرة المستريحين في قمرة القيادة (أب وابنه) وبين الرجل المخدوع الذي (دفع تحويشة) سنين في لحظة غفلة لمحتال طلي اللسان.

شطّار التاريخ ومحتالوه

تتحدث كتب التراث عن المرتزقين بالدعارة والنهب واللصوصية، ومن هؤلاء العيّارون الذين كان أول ظهورهم ببغداد في أواخر القرن الثاني الهجري، وقد استنجد بهم الأمين في صراعه مع أخيه المأمون على الخلافة، وكذلك لعب العيّارون دوراً في حرب المستعين والمعتز سنة ٢٥١هـ ، وهؤلاء كانوا يستغلون أوقات الاضطرابات ليسرقوا وينهبوا. ويقال أنهم منذ القرن الخامس الهجري تسلطوا على بغداد، لاسيما على أسواقها.. ينتزعون الإتاوات من الناس بدلاً من الحكومة، ويؤدون وظائف الشرطة. وكان أهل السلطة يداهنونهم ويتملقونهم ويقاسمونهم أحياناً ما يحصلون عليه من أموال. ولم يقتصر وجودهم على بغداد فحسب بل انتشروا في مختلف البقاع الإسلامية فيما بعد ليشكلوا قوة لا يستهان بها.

وإلى جانب العيّارين كان هناك من يسمون الشطار، وهم بحسب الكتب العربية القديمة من أهل الدعارة، وكانوا أكثر انتشاراً من العيّارين وأطول بقاء منهم، يأتزرون بمآزر على صدورهم وقد ظهروا في الأندلس، ولهم نوادر ونكات. سماهم ابن بطوطة بالفتاك إذ كانوا منتشرين في عصره (القرن الثامن الهجري) ووصف اجتماعهم على الفساد واحترافهم لقطع الطرق، وكانوا يعدّون اللصوصية شطارة وصناعة. ويقال أنهم هجموا على مدينة بيهق واحتلوها، وولوا سلطاناً من بينهم ليحكمها، وانحاز العبيد إلى جانبهم.

وكان هناك من يعرفون بالصعاليك والزواقيل والحرافيش الذين كثر عددهم مع بدء انحطاط الدولة العباسية وارتخاء قبضتها. وكان أصحاب الشأن الراغبون بالسلطة يستعينون بهم ضد خصومهم. وقد اجتمع منهم، في أواسط القرن الثالث الهجري، حول صاحب الزنج في ثورته مئات الآلاف.

وفي هذا المناخ نشأ جنس نثري جديد ينتمي إلى عائلة السرديات ويعتمد السجع أسلوباً سمي بالمقامات، والمقامة، في الغالب، تحكي عن أخبار الصعاليك والشطار الذين يحصلون على أرزاقهم بالحيلة والدهاء، وأشهر من كتب المقامة اثنان هما الحريري والهمذاني. وانتقل هذا الجنس إلى أوروبا ليؤثر على كتاب روايات الفروسية التي اعتمدت أخبار شطار أوروبا عصر النهضة وما بعده، لتتوج روح هذه الحكايات بأبلغ دلالاتها في رواية دون كيشوت لسرفانتس. ويبدو أننا بحاجة إلى من يوثق لنا أخبار صعاليك هذا العصر وعياريه وشطاره وحرافيشه. وعلى الأرجح فإن فن الرواية هو الأقدر على أداء مثل هذه الوظيفة، بشرط أن تكتب الرواية هذه برؤية متهكمة وأفق دلالي عميق.

شطار هذا الزمان

يحفظ العراقيون تفاصيل العشرات من الحكايات عن ظهر قلب.. يتناقلونها في خلواتهم واجتماعاتهم الخاصة، ليوازنوا حالات آلامهم المستديمة بما هو طريف ومضحك. وللعراقيين روح التهكم والنكتة حتى في أشد لحظات الحياة قسوة، وقد كنا في أزمان الحروب والحصار والقمع نتعاطى النكتة بشكل يومي.. وكانت النكتة إذ ذاك وسيلة إعلام سياسي بديلة للوسائل التي حرمنا منها. هذه الوسيلة التي كانت تحمّل بشحنة عالية من الدلالات والمعاني الخفية وتعكس رؤية الإنسان الصادقة إلى ما يجري من حوله، ورؤيته إلى أصحاب الشأن والسلطة.

وفضلاً عن النكتة كانت هناك القصص والحكايات التي لها ظل من الحقيقة، أو بذرة من الواقع.. وكان الخيال الشعبي يشذب تلك القصص والحكايات، مانحاً إياها قوتها المعرفية والجمالية. غير أن ثمة من الحكايات ما تنبئ عن اختلالات عميقة في البنية السياسية والاجتماعية، حيث تصرف القدرات الذهنية، لاسيما الذكاء والخيال في غير قنواتها الطبيعية، وفي غير صالح المجتمع.

لصوص يريدون سرقة سيارة من نوع ثمين لرجل لا يتركها أبداً أمام باب منزله أو محل عمله، وإنما يدخلها في مرآب محكم الإقفال، في المكانين. وذات يوم وقبل أن يصل صاحب السيارة بيته يجيء اللصوص بشاحنة مملوءة بالتراب الحرّي الذي يستخدم في الحدائق ويقولون لربة البيت أن زوجها أرسل هذا التراب. ويفرغون حمولة الشاحنة أمام الباب بحيث لن يستطيع الرجل إدخال سيارته. وحين يعود في فترة الغداء يوقف سيارته مضطراً في المكان الذي يرغب به اللصوص ويدخل ليستفسر عن حقيقة هذا التراب فيسرع اللصوص إلى السيارة.. يفتحون بابها لأنهم أصحاب خبرة بأبواب السيارات، ويشغلونها ويهربون بما يعدونه كنزاً.

أما أكثر الحكايات طرافة، وحذاقة فهي حكاية الرجل الذي يأتي إلى صاحب محل مرطبات شهير في بغداد بسيارة فارهة ومعه قرد صغير ويتكلم بلهجة خليجية، ليشتري كمية غير قليلة من (الموطة).. في المرة الأولى لا يسأله صاحب المحل عن سبب شرائه هذه الكمية، وعن القرد الذي يصحبه معه. وكذلك في المرة الثانية، غير أن الفضول يغلبه في المرة الثالثة فيسأل.

يخبره صاحب القرد أن قرده الذي يصطاد الطيور الحرة في الصحارى غالي الثمن جداً، وقد يصل سعره إلى خمسين ألف دولار، وأن هذا القرد لا يتناول سوى (الدوندرمة)، وإنه مستعد لشراء مثل هذا القرد بذلك الثمن. بعدها يعطي لصاحب محل المرطبات بطاقته التي فيها أرقام تلفوناته في المكتب والبيت وتلفونه الخلوي وعنوان بريده الالكتروني وعلى موقع الانترنيت - ولم يكن الانترنيت قد دخل حياتنا بعد - ويرجوه أن يتصل به حالما يجد مثل هذا القرد.

بعد زيارات عديدة يأتي رجل آخر بسيارة فارهة من نوع مختلف، ومعه قرد - هو القرد نفسه قطعاً - ليشتري (الدوندرمة).. يسأله صاحب المحل عن القرد وفيما إذا كان يريد بيعه.. يقول القرّاد، هذا القرد غال جداً.. سعره خمسة وعشرون ألف دولار.

وبعد مساومات يقبل القرّاد أن يبيع قرده بعشرين ألف دولار.. يدفع صاحب المحل المبلغ سعيداً لأنه سيربح ثلاثين ألف دولار.. وبعد أن يغادر القرّاد بالمبلغ، يتصل صاحب محل المرطبات بالرجل الذي أوصاه بشراء مثل هذا القرد ويعاود الاتصال، ولكن من دون جدوى فالأرقام وهمية.

وفي يوم الجمعة يذهب الرجل بقرده إلى سوق الغزل، وهناك لم يدفعوا له مقابل القرد أكثر من عشرة آلاف دينار عراقي (أقل من خمسة دولارات حسب سعر صرف ذلك الزمان).

شطارة في الغرب

تبعثر العراقيون منذ نهايات سبعينيات القرن المنصرم في أربعة أركان الأرض، لاسيما في عقد التسعينيات، حتى قيل أن عددهم وصل في المنافي إلى أكثر من أربعة ملايين شخص. هؤلاء سمعنا عن حياتهم قصصاً وحكايات معظمها كان مؤلماً ومحبطاً، وبعضها كان طريفاً، وربما هناك من هذه القصص والحكايات ما هو من نسج الخيال، إلاّ أنها جميعاً دوال تفصح عمّا يمكن للنوع الإنساني أن يبدعه أو ينتجه من مدلولات، وهو يخوض تجربة الصراع من أجل البقاء، ومن أجل الكرامة والحرية.

سمعنا عن عراقيين قضوا في الصحارى والبحار، وآخرين انتهوا في السجون، وكان هناك من حظي بفرص ممتازة للعيش والتطور، اغتنمها وبنى أسساً جديدة لحياته.

وفي هذا المقام أود أن أنهي تحقيقي هذا بحكاية، أو لعلها محض نكتة مختلقة عن شخصين عراقيين عانيا في إحدى بلدان الغرب من التشرد والبطالة والجوع. وفي يوم ما تفتق ذهن أحدهما عن طريقة لكسب مال وفير فقال لصاحبه، اتبعني ولا تسأل أو تعترض لأن لا شيء يمكننا أن نخسره بعد اليوم.

ذهب الرجل بصاحبه إلى مسرح فخم وادّعى أمام مالك المسرح ومديره أن باستطاعته وبمساعدة صديقه هذا أن يدخل في قنينة الكوكا كولا الصغيرة، ويريد أن يقدم عرضاً أمام الجمهور.

قال صاحب المسرح، حسناً، لا مانع لدي.

واتفقا على ما سيحصلان عليه من مبلغ، وكان كبيراً.

في ساعة العرض، وحين فتح الستار، وقف الرجل إزاء الجمهور وطلب بحركة مسرحية مفتعلة من صاحبه أن يناوله قنينة الكوكا، ثم طلب منه أن يخرج ثمرة جوز من جيبه ففعل.

أمسك بالقنينة في يد، وبالجوزة في اليد الأخرى، وقال للجمهور، هذه الجوزة هل يمكنها أن تدخل من هذه الفوهة الصغيرة إلى القنينة؟.

فصاحوا به، لا.

قال، إذن كيف تتوقعون مني أنا، أن أدخلها؟!!.

ضج الجمهور بالضحك، وقبل بالعرض بصيغته هذه.

تحت الضوء..

السياج الحديدي للخط السريع

أحمد السعداوي

كثيراً ما ترى هذه الايام دوريات الشرطة العراقية.. وهي تتدخل لمعالجة خلل مروري أو اختناق في السير، بل ان بعض الدوريات تديم التواجد في أماكن بعينها كما يحدث عند مدخل حي البنوك، وذلك لمنع المرور غير النظامي والمعاكس بالاتجاه للسيارات في ذلك الشارع.. الذي سبب طوال الاشهر الماضية اختناقات وزحاماً لا يوصف.

وإن كل عمل الشرطة العراقية وشرطة المرور وباقي الاجهزة الامنية. بدأ يؤتي ثماره في اكثر من مجال، إلا أن مخلفات الاحتلال تبقى أكثر وأعقد وليكن كلامي محصوراً بقضية الشوارع والمرور والسيارات فقط.

فهؤلاء الناس (المتحضرون) علمونا الـ (رونغ سايد)كما يقول البعض.. فإذا كانت سيارات الهمر تسير (بكيفها) وتصعد الرصيف وكأنه غير موجود وتسير عكس اتجاه الشارع،فلماذا لاافعل ذلك انا ايضاهذه السيارات العسكرية اصبحت هي التجسيد المادي للقانون الجديد الذي يطبق في الشارع مع الاخذ بنظر الاعتبار أن انتماءنا لأي قانون كان دائماً ضعيفاً وغير عميق.

الأرصفة الكونكريتية التي لم نتصور في يوم ما أنها يمكن أن تتأثر، سوى أن لونها يتغير بفعل الامطار والشمس. تحولت في غضون اشهر إلى (دلائل احتلال)..

فالحزوز التي خلفتها سرفات الدبابات على هذه الأرصفة لا يمكن معالجتها بسهولة ولا أعتقد أن شارعاً أو رصيفاً في بغداد الآن يخلو منها.

إذا كانت الدبابات تتجنى على الرصيف هكذا فما هي حرمته بالنسبة لي أنا سائق السيارة المدنية؟ هكذا أصبح الحال.

ولكن قضية الرصيف المحزز (مقدور عليها). إنها تثير الأسى الآن، ولكنها لا تسبب أزمة سير، ولكن ماذا مع السياج الحديدي الواقي على الخطوط السريعة حيث اعتادت الدبابات والمدرعات الاميركية خلال الاشهر الماضية على اجتياز هذا السياج الحديد الواقي من أيما نقطة للوقوف تحت الجسور في الجزرة الوسطية بين خطي الذهاب والإياب للطريق السريع. كجزء من حركة الدوريات الاميركية المعتادة واليومية.

الغريب أن هذه الآليات الثقيلة، هي وحدها، تستطيع إمالة السياج الحديدي الواقي وتحطيمه، للمرور من الشارع إلى الجزرة الوسطية، حتى (الشفل) أو الشاحنات الكبيرة غير قادرة على ذلك من دون أن يتسبب هذا العمل في تخريبها وتحطيمها.

وما هو أغرب.. أن سائق هذه المدرعة أو الدبابة، بعد أن يمل من الوقوف في الجزرة الوسطية ويرغب بالمغادرة والعودة إلى الشارع الرئيس يصنع له فتحة أخرى في السياج الواقي.. ولا يكلف نفسه عناء المرور من الفتحة نفسها التي صنعها في البداية.

وفضلاً عن المبالغ الكبيرة التي ستتكبدها الدولة لإصلاح هذه الفتحات الكثيرة المنتشرة على سياج الخطوط السريعة. فإن الضرر الاكبر هو ما يحصل يومياً. حيث أتخذ سائقونا من هذه الفتحات (الاحتلالية) أماكن للأستدارة أو الدخول غير النظامي على الخط السريع، وهناك من يؤكد لنا أن حوادث سير كثيرة تحدث بسبب هذه الفتحات غيرالنظامية في السياج، وخصوصاً في مداخل بغداد الجنوبية.

وإذ بدأت حملة في بعض الخطوط السريعة لإصلاح هذه الاضرار وخصوصاً في شارع المطار، نعتقد أن هيئة الطرق والجسور افترضت أن الدبابات والمدرعات الامريكية قد كفت عن هذا العمل السيىء ولعل القوات الامريكية تفترض ان هذا السياج الحديدي الطويل والمكلف وضع لأجل الزينة.

بعد ١٥ شهراً على نهاية الحرب
الثروات البغدادية تتعش

ثائر عبد علي

بالنسبة لأشخاص مثل علاء سعد، المهندس في وزارة الصناعة، فان قرار التحالف بعد الحرب برفع الرواتب، التي تآكلت قيمتها بسبب التضخم الذي طرأ خلال فترة العقوبات، قد نتج عنها ارتفاع كبير في مستوى معيشته.

كان علاء قبل الحرب يقبض ما يعادل (٢٠) دولاراً أمريكياً في الشهر. ويقول أن ذلك كان يعني (إننا نفتقر إلى أبسط الاشياء في حياتنا اليومية). أما الآن فان راتبه قد ارتفع ليصبح ما يقارب (٢٧٥) دولاراً، وسيكون قريباً قادراً على استبدال نصف اثاثه تقريباً.

والفضل في هذا عموماً يعود إلى زيادة الرواتب في الوظائف الحكومية، وقد وجدت العديد من العوائل البغدادية ارتفاعاً مثيراً في قدراتها الشرائية منذ سقوط نظام صدام.

لم يكن علاء قادراً لمدة عشر سنوات على توفير أثاث جديد، بينما كان زملاؤه الموظفون الحكوميون يشيرون إلى الاجهزة الكهربائية باسم (الأشياء المحرمة) لأنها كانت بعيدة المنال.

ويتذكر علاء قائلاً (كنت معتاداً على شراء الطعام يومياً لأننا لم نكن قادرين على توفير ثلاجة). ولكن الآن (أرى وأشعر بالتحسن الذي طرأ على مستويات عائلتي المعيشية، أستطيع الآن أن اعيش بكرامة معتمداً على راتبي).

واستفاد المعلم محمد علي أيضاً من راتبه الذي ارتفع إلى ما يعادل (٢٤٠) دولاراً في الشهر، بزيادة قدرها أربعون مرة عما كان عليه.

وقال (استطيع الآن أن ألبي طلبات زوجتي وأولادي كلها. وأستطيع الآن أن أخطط لمستقبل عائلتي).

وكان الطبيب في مستشفى اليرموك وليد جبار يتسلم نحو (٢٠) دولاراً شهرياً. وقال بمرارة (كنا نسمع أن رواتب الاطباء في الدول الاخرى عالية جداً، ويعتبرون من بين الشخصيات المهمة في المجتمع). وبعد الحرب ارتفع راتبه (١٧) مرة ليصل إلى ما يعادل (٣٤٤) دولاراً، وقال: (يشعر زملائي وأنا الآن بأهمية دورنا. أن الوضع يشبه تماماً استعادتنا لحقوقنا المفقودة).

إن نتائج الزيادات في رواتب الموظفين المدنيين قد تسربت ايضاً إلى اقتصاد الخدمات والتجارة المباشرة.

وقال النجار أحمد حاتم: (إن الطلب لشراء الأثاث قد تغير إلى حد كبير). وقال إن زبائنه في السابق كانوا يأتون فقط لتجديد أثاثهم القديم أو حتى لبيعه في بعض الاحيان). ويتابع قائلاً أما الآن (فان عدد الزبائن يتزايد وعملنا يزدهر. الشباب يقدمون على الزواج (ويؤثثون بيوتهم) مع تحسن مستوياتهم الاقتصادية. وأرباحنا تضاعفت أو ازدادت ثلاثة أضعاف).

وازدهرت الأعمال ايضاً بفعل رفع العديد من القيود التي كانت مفروضة في السابق.

وفي هذا الصدد يقول غسان أكرم صاحب أحد أسواق (السوبر ماركت) أن أرباحه قد تضاعفت منذ سقوط النظام، والفضل في ذلك يعود عموماً إلى اغلاق دائرة الأمن الاقتصادي التي منعت استيراد بضائع معينة.

وقال غسان (كنا نتعامل في الماضي في البضائع المصنوعة محلياً أو رديئة النوعية. وكنا نعاني من دائرة الامن الاقتصادي.. لقد منعونا من استيراد (الكوكا كولا) بذريعة أن الشركة تعمل ضد مصالح النظام السابق. والآن فقد تخلصنا من مسؤولي الدائرة الأمنية الظالمين وأصبحنا احراراً في استيراد العديد من البضائع الاصلية ذات الماركات الشهيرة التي حرم الناس منها في السابق).

وفي غضون ذلك، يقول بائع السجائر عمر خليل أن ارباحه لم تأت فقط من الطلب المتزايد بل من تخلي موظفي البلدية المحلية عن تطبيق قوانين منعه من بيع بضاعته على الرصيف.

ويقول أن بضاعته، قبل الحرب، كانت تصادر مرة أو مرتين في الشهر. أما الآن (فانهم يسمحون لنا بالبيع والشراء على الأرصفة ما دمنا لا نعرقل مرور السابلة، وننظف المكان بعد العمل).

وثمة ازدهار في حقل الاسكان ما بعد الحرب، وجاء هذا جزئياً بسبب الغاء القيود التي كانت تمنع العديد من غير البغداديين من الانتقال إلى العاصمة، مما ساهم ايضاً في زيادة فرص العمل أمام العمال غير الماهرين.

وقال بشير عامر، عامل بأجرة يومية، (كنت قبل الحرب أكسب (٣) آلاف دينار يومياً، ولم تكن تكفي لتغطية الحاجات الانسانية الاساسية لعائلتي. كنا نعيش على الخضروات لأنه لم يكن بمقدورنا شراء اللحم، لم يكن لدي هاتف ولا سيارة، وكان من الصعوبة شراء اي شيء جديد للعائلة بسبب الدخل المحدود. حالياً تحسنت ظروف العمل وأصبحت أجرتنا اليومية (٨) آلاف دينار، ونشعر ببعض التحسينات تطرأ على حياتنا اليومية وأصبح بامكاننا الآن استبدال بعض أثاثنا. المستقبل يبدو مشرقاً).

ووضعت الحرب أيضاً نهاية للخدمة العسكرية الالزامية، التي غالباً ما توفر القليل جداً مما يغطي نفقات الجنود.

ويقول حامد رشيد، وهو جندي سابق في الجيش العراقي، أن راتبه الذي كان يعادل (٣) دولارات تقريباً في الشهر لم يكن يكفي حتى لتغطية نفقات تنقله إلى المعسكر الذي يؤدي فيه الخدمة العسكرية. وبعد سقوط النظام وجد حامد عملاً جديداً كحارس أمني في شركة هواتف نقالة، تدفع له ما يعادل (٢٠٠) دولار في الشهر.

ويقول حامد (لقد استطعت أن استأجر منزلاً لعائلتي، بعد أن كنت أعيش في غرفة واحدة في بيت والدي. وأشعر الآن بالسعادة في عملي وراتبي، أنا أشتري الأثاث وأي شيء نحتاجه).